

من دلالات التنغيم في سورة الإنسان

م.م. باسم جبار راهي

كلية العلوم الإسلامية-جامعة كربلاء

The implications of intonation in the The generous one Quran,

Surah Al-Insan as A model

Asst. Lec. Basem Jabbar Rahi

College of Islamic Sciences - University of Karbala

basimjabaar@gmail.com

ملخص البحث:

التنغيم من الدراسات المهمة في الدرس الدلالي الصوتي ، والصرفي ، والنحوي ؛ لما فيه أهمية كبيرة في بيان الدلالة المرادة من الكلام ، وهو من الدلالات ما فوق التركيبية أو ما يسمى (التطريزية)؛ فاهتمّ البحث بدراسة بيان مفهوم التنغيم ووظائفه ، وأنواعه ، وتوظيفها أو تطبيقها في دراسة دلالات التنغيم التي وردت في سورة الإنسان ، والوقوف عليها؛ لبيان المعاني المقصودة من لغة القرآن الكريم ، وأساليبها التي تتحول من أسلوب إلى آخر ، وبحسب مقتضيات المعنى المراد، كتحويل أسلوب الاستفهام إلى أسلوب الإخبار أو التقرير. انقسم البحث إلى تمهيد ومبحثين تضمن المبحث الأول: وظائف التنغيم وأنواعه، والثاني: دراسة تطبيقية لدلالات التنغيم في سورة الإنسان. الكلمات المفتاحية : دلالة ، تنغيم ، سورة الإنسان

Abstract

Intonation is one of the important studies in the semantic study of phonetics, morphology and grammar; because it is of great importance in clarifying the intended meaning of speech, and it is one of the supra-structural meanings or what is called (embroidery); so the research was interested in studying the explanation of the concept of intonation, its functions and types, and employing or applying them in studying the implications of intonation that appeared in Surat Al-Insan, and standing on them; to clarify the intended meanings of the language of the Holy Quran and its styles that transform from one style to another, and according to the requirements of the intended meaning such as transforming the style of questioning into the style of news or reporting. The research was divided into an introduction and two sections. The first section included: the functions of intonation and its types, and the second: an applied study of the implications of intonation in Surat Al-Insan

Keywords: meaning, intonation, Surat Al-Insan

التمهيد: مفهوم التنغيم:

التنغيم لغة: " (نغم) النون والميم والغين ليس إلا النغمة؛ جرس الكلام وحسن الصوت بالقراءة وغيرها. وهو النغم. وتَنَغَّم الإنسان بالغناء ونحوه" (١).

التنغيم في مفهوم النحويين القدامى

قبل الدخول في الحديث عن التنغيم عند المحدثين نذكر جهود القدماء التي أشارت إلى مفهوم هذا المصطلح، إذ تطرقوا إليه وبإشارات واضحة في كتبهم، ولكن ليس كما هو الآن، ولم يتوسعوا به كما توسع المحدثون ومن ذلك ما ذكره سيبويه (١٨٠هـ) إلى وجود جمل خبرية محولة إلى جمل إنشائية لدلالة المعنى عليها. في (باب الأمر والنهي) قال: " ونقول: زيداً قطع الله يده، وزيداً أمر الله عليه العيش، لأن [معناه معنى] زيداً ليقطع الله يده" (٢).

فقد نبه سيبويه على عملية تحويل الأساليب الخبرية إلى إنشائية وبالعكس وكان سببه التنغيم على الرغم من أنه لم يصرح به.

ومن بعده ابن جني الذي صرح بلفظ (النغم) وكان يقصد به (التنغيم) قال: " اعنى علم الاحداث والحروف، له تعلق ومشاركة للموسيقى، لما فيه من صنعة الاصوات والنغم" (٣)

ومن تنبيهاته على دلالة التنغيم قال: " وذلك ان تكون في مدح إنسان والثناء عليه، فنقول: كان والله رجلاً! فتزيد في قوة اللفظ بـ (الله) هذه الكلمة، وتتمكن في تمطيط اللام وإطالة الصوت بها (وعليها) ؛ أي : رجلاً فاضلاً أو شجاعاً أو كريماً أو نحو ذلك" (٤).

فأشار ابن جني إلى وظيفة التنغيم بلفظ تزيد في قوة اللفظ والتمطيط وإطالة الصوت في لفظ الجلالة لبيان الصفة المحذوفة للرجل من أوصاف الشجاعة والكرم وغيرها، أي أنه أشار إلى وظيفة التنغيم في تحديد المحذوف وهو الصفة.

التنغيم اصطلاحاً:

التنغيم من المصطلحات الحديثة وقد عرّفه كثير من العلماء المحدثين، أبرزهم الدكتور إبراهيم أنيس فقد تحدث عنه بمصطلح موسيقى الكلام قال: " برهنت التجارب الحديثة على أنّ الإنسان حين ينطق بلغته لا ينتج درجة صوتية واحدة في النطق لجميع الأصوات، فالأصوات التي يتكون منها المقطع الواحد تختلف فيها. ومن اللغات ما يجعل لاختلاف درجة الصوت أهمية كبرى، إذ تختلف فيها معاني الكلمات تبعاً لاختلاف درجة الصوت حين النطق بها" (٥).

ويعد هذا الكلام بدايات لظهور مصطلح التنغيم. إذ عرفه الدكتور تمام حسن قائلاً: "التنغيم ارتفاع الصوت وانخفاضه في اثناء الكلام" (٦).

وجمع الدكتور كمال بشر بين المصطلحين (التنغيم) (وموسيقى الكلام) قال: " التنغيم في الاصطلاح: هو موسيقى الكلام، فالكلام عند إلقائه تكسوه ألوان موسيقية لا تختلف عن ((الموسيقى)) إلا في درجة التوافق والتوافق بين النغمات الداخلية التي تصنع كلاً متناغم الوحدات والجنبات. وتظهر موسيقى الكلام في صورة ارتفاعات وانخفاضات أو تنويعات صوتية، أو ما نسميها نغمات الكلام، إذ الكلام - مهما كان نوعه- لا يُلقى على مستوى واحد، بحال من الأحوال" (٧).

ومن المحدثين الغربيين ماريو باي الذي عرّفه بأنه: "عبارة عن تتابع النغمات الموسيقية أو الإيقاعات في حدث كلامي معين" (٨).

فالتنغيم هو مجموع النغمات في المجموعة الكلامية، والنغمة هي جزء من التنغيم، وهذا هو الفرق بين النغمة والتنغيم قال تمام حسان: "ونفرق هنا عمداً بين اصطلاحي النغمة واللحن. فأما النغمة فنقصد بها تنغيم المقطع الواحد في عموم المجموعة الكلامية فتوصف هذه النغمة بأنها صاعدة أو هابطة ثابتة ونقصد باللحن مجموع النغمات التي في المجموعة الكلامية، أي: الترتيب الأفقي للنغمات التي يشمل النموذج أو الميزان عليها مع نظرة خاصة الى النغمة المنبورة الأخيرة من هذا الترتيب" (٩).

المبحث الأول:

أولاً: وظائف التنغيم:

للتنغيم وظائف عدّة وهي الآتي .

١- الوظيفية النحوية :

إذ هي العامل الفاعل في التمييز بين أنماط التركيب والتفريق بين أجناسها النحوية ، ومن ثم يمكن للدارس تحليل مادته تحليلًا علميًا دقيقًا ، حسب إطارها الصوتي وكيفيات أدائها الفعلي .فالتنغيم بأنماطه المتنوعة عامل أساسي في بيان أن المنطوق مكتمل في مبناه ومعناه أم غير مكتمل. يظهر ذلك بوضوح في الجمل الشرطية، كما في قولنا مثلاً: إن تأت تجد ما يسرك. حيث تنتهي جملة الشرط بنغمة صاعدة، دليلاً على عدم تمام الكلام، فتمامه يحصل بجواب الشرط الذي ينتهي بنغمة هابطة، دليلاً على الاكتمال في المبنى والمعنى معا.

٢- وظيفة ذات إطار خاص:

لاحظ الدارسون أن للتنغيم وأنماطه دوراً أساسياً في التفريق بين معاني الكلمة المفردة في بعض اللغات ، فالكلمة {ma} في إحدى اللغات الصينية تعني ((الأم)) إذا نطقت بنغمة مستوية

ولكنها تعني ((الحصان)) إذا نطقت بنغمة صاعدة - هابطة وهذه النغمة الفارقة بين معاني الكلمة، تسمى نغمة معجمية إذ إنها تقوم بالتفريق بين معاني الكلمات على مستوى المعجم. ويقوم الاختلاف في درجة النغمة أيضاً في بعض اللغات بالتمييز بين الأجناس الصرفية للكلمة، كما يظهر مثلاً في التفريق بين أزمان الفعل. هذه اللغات التي يعتمد التفريق فيما بين معاني الكلمة، أو التمييز بين الأجناس الصرفية للكلمة على درجة النغمة تسمى اللغات النغمية.

٣- وظيفة دلالية سياقية: حيث يبني اختلاف في النغمات، وفقاً لاختلاف المواقف الاجتماعية، عن حالات أو وجهات نظر شخصية في عملية الاتصال بين الأفراد. وهذه تؤدي دورها في هذا الشأن بمصاحبة ظواهر صوتية أخرى من ظواهر التطرير الصوتي prosodic features وظواهر خارجية غير لغوية paralinguistic تتعلق بالظروف والمناسبات التي يلقي فيها الكلام. يظهر ذلك مثلاً في حالات الرضا والقبول والجزر والتهكم والغضب والتعجب والدهشة والدعاء. حيث تأتي العبارة والجملة (أو الكلمة في صورة جملة) بأنماط تنغيمية مختلفة. يظهر ذلك في العبارة العامية المصرية (لا يا شيخ) [وفي قولنا سبحان الله].

٤- الوظيفة الرابعة: يشير إليها علماء اللغة الاجتماعيون بوجه خاص: إنهم (ونحن معهم) يرون أن للتنغيم وأنماطه دوراً في تعرف الطبقات الاجتماعية والثقافية المختلفة في المجتمع المعين، حيث لاحظوا أن هذه الطبقات تختلف فيما بينها في طرائق أداء الكلام، وأن إطار موسيقى الكلام عندهم يختلف إلى حد ما - من طبقة إلى أخرى وفقاً، لمواقع كل طبقة في المجتمع ومحصوله الثقافي (١٠).

ثانياً: أنواع التنغيم

بعد ذكر وظائف التنغيم لابد لنا من ذكر أنواع التنغيم والجمال التي تنطق بها باعتماد الصعود والهبوط في نهاياتها فضلاً عن ما سبقها من نغمات تنطق على مستوى تركيب الجملة، بداية الجملة ووسطها وهي الآتي.

١- النغمة الأولى: وتسمى النغمة الهابطة (Falling tone) لاتصافها بالهبوط في نهايتها على الرغم مما قد تنتظمه من تلوينات جزئية داخلية. وتعني وجود درجة عالية في مقطع أو أكثر تليها درجة أكثر انخفاضاً. والجمال التي تنطق بنهايتها بها هي.

أ- الجمال التقريرية: ونعني بها تلك الجمال التامة ذات المعنى الكامل غير المعلق، كما في نحو: محمود في البيت .

ب — الجمل الاستفهامية بالأدوات الخاصة: أي الجمل التي تحتوي استفهاماً خاصاً، مثل أين، من، متى، كيف ... الخ، من أدوات الاستفهام. مثل: أين محمود؟

ج — الجمل الطلبية: وهي الجمل التي تحتوي على فعل أمر أو تحتوي على نهي فعل بأحد أدوات النهي أو نحوه، مثل: اكتب الدرس.

٢ - النغمة الثانية: النغمة الصاعدة

سميت كذلك لصعودها في نهايتها، بالرغم من تنوع أمثلتها الجزئية الداخلية. وتعني وجود درجة منخفضة في مقطع أو أكثر تليها درجة أكثر علواً منها.

والجمل التي تنطق بنهايتها بها هي:-

أ- الجمل الاستفهامية: التي تستوجب الإجابة بلا أو نعم. وكذلك تشمل الجمل الاستفهامية بأداة الاستفهام (الهمزة وهل). مثل: محمود في البيت؟ والهمزة حين يراد بها طلب التصديق مثل: أحضر الأمير؟. أما هل هي أصلاً لطلب التصديق مثل: هل ذهب زيد؟^(١).

ب — الجمل المعلقة: ونعني بها الكلام غير التام لارتباطه بما بعده ويظهر ذلك بوجه خاص في الجزء الأول من الجمل الشرطية مثل: إذا أتيت أكرمك. (فإذا أتيت) تنطق بنهايتها بنغمة صاعدة وهو فعل الشرط لتعلقه بجوابه الشرط (أكرمك) فعند إتمام كلام الشرط بفعله وجوابه تنطق الجملة كاملة بنغمة هابطة في نهايتها، أي في جواب الشرط وتصبح الجملة كلها تقريرية. فبهذه الجملة يكون التنوع في النغمات صاعداً هابطاً ومثله في عد الأرقام مثل: ١، ٢، ٣، ٤ فعند عد الرقم (١) تكون النغمة صاعدة والرقم (٢) هابطة والرقم (٣) صاعدة والرقم (٤) وهي نهاية العد هابطة. والتعلق في الجملة والتتام يمثله الفاصلة والنقطة، إذ إنَّ الفاصلة تمثل تعلق الكلام بما بعده وعدم تمامه، أما النقطة دليل على تمام الكلام المنطوق مبنى ومعنى.

٣- النغمة الثالثة: وتسمى النغمة المستوية

وتختص هذه النغمة بالجمل الإخبارية الاعتيادية وتعني وجود عدد من المقاطع تكون درجاتها متحدة وقد تكون هذه الدرجات قليلة أو متوسطة أو كثيرة، فالتنغيم متكون من هذه النغمات التي تم ذكرها وكل نغمة قد مثلت الجملة التي تنطق بها. وبهذا على المتكلم أن ينطق الجملة بنغماتها المعروفة وإلا فإنه خرج عن المؤلف عند السامعين له. إلا أنَّ بعض الجمل تسمح له أن ينطقها بأي نغمة شاء ولا يخرج عن المؤلف فمثلاً تقول: محمداً في الدار، فإذا نطقها بنغمة مستوية أردت الإخبار، وإذا نطقها بنغمة صاعدة أردت الاستفهام، وهذه وظيفة التنغيم بتحديد نوع الجملة؛ لأن الجملة غير مقترنة بأداة من أدوات الأساليب التي تحددها بجملة

إنشائية أما إذا اقترنت الجملة بإحدى أدوات الأساليب من استفهام وتعجب وغيره لابد من نطقها بنغمتها المعروفة إلا إذا أراد المتكلم أن يخرج معنى الجملة الى معنى بلاغي آخر، مثلاً ينطق جملة الاستفهام: (أرْسَبْتُ في الامتحان؟) بنغمة هابطة إرادة التقرير في الجملة، أي: إنك راسب في الامتحان والأمر معلوم بحال الرسوب عند المتكلم، أي لا يريد الاستفهام وإنما أراد التوبيخ لحال رسوبه في الامتحان وتثبيت ذلك عليه على الرغم من أن أصل الجملة استفهام بقرينة أداة الاستفهام.

وهذا الشأن هو تحويل الجملة الإنشائية الى جملة تقريرية خبرية وكذلك الحال نفسه إذا نطقت الجملة الخبرية بنغمة من نغمات أساليب الجملة الإنشائية أنك تريد معنى آخر غير الإخبار، والحال نفسه يكون في إطار اساليب الجملة الإنشائية، أي عند نطق الجملة الإنشائية المقترنة بأداة من أدوات الأساليب الإنشائية التي تتشابه رسماً لا معنى مثل الأداة (ما) تكون مرة للاستفهام ومرة للتعجب، فتكون وظيفة التنغيم هنا للتفريق أي التفريق بين الأسلوبين أسلوب التعجب وأسلوب الاستفهام. وبهذا يكون التنغيم عوضاً لعلامات الاستفهام والفواصل والنقطة، وغيرها من علامات الترقيم التي ترد في الكلام المنطوق المكتوب وخاصة في سياقات النصوص القرآنية التي استغنت عنها للزيادة في بلاغة وبراعتها^(١٢)، وعلى أساس ما ذكرناه سنتناول دلالة التنغيم في سورة الإنسان .

المبحث الثاني

تطبيقات دلالات التنغيم في سورة الإنسان

من دلالات التنغيم في سورة الإنسان في قوله تعالى: {هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئاً مَّذْكُوراً} (الإنسان : آية ١) ، تحويل أسلوب الاستفهام من الجملة الإنشائية إلى التقريرية أو الخبرية ، وتمثلت دلالة الاستفهام في آراء العلماء والمفسرين بالآتي : خروج الاستفهام من دلالاته الحقيقية إلى دلالة أخرى التقرير والإخبار وليس للاستفهام كونهم أنكروا البعث وعدم اليقين بإحياء الإنسان بعد موته والإجابة عن ما كان الإنسان شيئاً يذكر ولم يذكر في الدهور الماضية لأنَّ الله لا يستفهم خلقه عن شيء بل أراد الإخبار أو التقرير بما يستقر بما في نفوسهم من مصداقية البعث بعد موت الإنسان وبيان التحويل في وظيفة الجملة من الاستفهامية إلى الإخبارية أو التقريرية كان من وظيفة التنغيم التي منحت الجملة الاستفهامية أن تنطق بنغمة مستوية أو هابطة دلالة على الإخبار أو التقرير وسنبين رأينا في نهاية البحث عن أنَّ الدلالة في الاستفهام دلالة تقريرية أم خبرية وذلك بعد استعراض آراء العلماء والمفسرين .

ومن الآراء التي تمثلت فيها (هل) بالخروج من دلالتها الحقيقية الاستفهام إلى الدلالة الخبرية منها: "معناه: قد أتى على الإنسان حين من الدهر (وهل) قد تكون جحداً ، وتكون خبراً فهذا من الخبر، لأنك قد تقول: فهل وعظتك؟ فهل أعطيتك؟" (١٣)، ونجد الرأي نفسه عند الرازي والسيوطي (١٤).

أما الاستفهام التقريري فهو "بمعنى التحقيق والتثبيت وبمعنى حمل المخاطب على الإقرار بما يعرفه" (١٥)، و"حمل المخاطب على الإقرار والاعتراف بأمر وإلجأؤه إليه وطلب اعترافه" (١٦). ومن الآراء التي ذهبت إلى دلالة التقرير: "قوله تعالى: {هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ} قيل هل بمعنى قد والأحسن أن تكون هل على بابها للاستفهام الذي معناه التقرير وإنما هو تقرير لمن أنكر البعث فلا بد أن يقول نعم قد مضى دهر طويل لا إنسان فيه ، فيقال له: من أحدثه بعد أن لم يكن وكوّنه بعد عدمه ، كيف يمتنع عليه بعثه وإحياءه بعد موته وهو معنى قوله: {وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ النَّشْأَةَ الْأُولَىٰ فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ} (الواقعة: آية ٦٢) ، أي فهلا تذكرون فتعلمون أن من أنشأ شيئاً بعد أن لم يكن على غير مثال قادر على عودته بعد عدمه وموته" (١٧).

ورود في الكشاف: "فالمعنى أقد أتى به على التقرير والتقريب جميعاً أي: أتى على الإنسان قبل زمان قريب حين من الدهر لم يكن فيه شيئاً مذكوراً نطفة في الاصلاب والمراد بالإنسان جنس آدم بدليل قوله تعالى: {إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ} (١٨) (الإنسان: آية ٢). "ومعنى ذلك: أنه قد حصل لكم العلم بذلك تجدونه عندكم إذا استفهمتم أنفسكم عنه فإن الرب تعالى لا يستفهم خلقه عن شيء وإنما يستفهم ليقرهم ويذكرهم أنهم قد عملوا حق ذلك الشيء فهذا أسلوب بديع انفرد به خطاب القرآن وهو في كلام البشر مختلف" (١٩).

ومن المصادر الصوتية الحديثة التي بينت الرأي في هذه الآية المباركة ، "وكون الأداة قد تخرج التركيب عن معناه الحقيقي الى معنى آخر كما في قوله تعالى: {هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ} حين من الدهر لم يكن شيئاً مذكوراً" إذ تبدو الآية الكريمة بهذا القدر استفهامية للوهلة الأولى – بناء على القرينة اللفظية وهو حرف الاستفهام إذا نظرنا إليها مكتوبة فإذا عرضناها على أسماعنا من أفواه القراء أو نظرنا إليها في سياق المعنى القرآني ، لم تكن الجملة استفهامية ، والآية الكريمة بصياغتها من أساليب التحقيق والتأكيد ، والقرينة التي كانت لها الغلبة على (هل) هي المعنى والتنغيم المعبر عنه وبهذا تجردت الجملة من معنى الاستفهام مع توافر قرينة الاستفهام اللفظية المعروفة ولهذا فالقول بخروج هل عن معناها يجانبه الصواب ، لأن الاستفهام يفهم من التراكيب وما يصاحبها من قرائن معنوية وأدائية لا من الأداة وحدها" (٢٠).

وبعد اطلاعنا على الآراء التي تباينت بين الإخبار والتقرير يتجه الباحث مع الاتجاه الذي فسّر وبين وجه الدلالة إلى التقرير ، وهذا واضح من مراد الآية وسياقها لأن الله سبحانه وتعالى أراد أن يقررهم ويثبت عليهم قدرة الله باعترافهم المكنون في داخلهم من البعث وإحياء الناس بعد موتها وعليه فالجملة تقر بالتنغيم الهابط في آخرها دلالة على التقرير لا الإخبار الذي يقرأ بنغمة مستوية. وكما وردت دلالة التنغيم في سورة الإنسان في قوله تعالى : {إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَلَاسِلًا وَأَغْلَالًا وَسَعِيرًا} (الإنسان : الآية ٤) ، فالجملة استئنافية للإخبار قال ابن عاشور (ت ١٣٩٣ هـ): "والجملة مستأنفة استئنافاً بيانياً ... وأكد الخبر عن الوعيد بحرف التأكيد لإدخال الروح عليهم لأن المتوعد إذا أكد كلامه بمؤكد فقد آذن بأنه لا هودة له في وعيده" (٢١) ، لو لاحظنا سياق الآية قد اشتمل على نهاية كل كلمة بفونيم النون وهو (المهيمن الصوتي) بدءاً من (إِنَّا) الذي اجتمع فيها التوكيد ودلالة صوت النون الجهرية المصحوبة بحفيف خفيف (٢٢) ، والنون الجهرية في اعتدنا وفي الكافرين والتتوين الجهري في (سلاسل) في حالة الوصل والتتوين الجهري في (أغلالاً) والتتوين الجهري في (سعيراً) والنون والتتوين من باب واحد ، فدلالة النون الجهرية والتتوين الجهري هي لبيان أنين الكافرين الحاصل من عذابهم بالنار وما يتصل بذلك الحفيف الخفيف لبيان ضعفهم وفي الوقت نفسه هو مناسبة جو الآية المشحون بالترهيب والتخويف والوعيد والتعذيب ، إلا أننا نجد التتوين في (سلاسل) وضعاً قرآنياً؛ لأنه في الأصل أن يغادر التتوين من (سلاسل)؛ لأنه ممنوع من الصرف وهو منتهى الجموع ولكن القراء قرأوا هذا الموضع كلاً بحسب قراءته القرآنية فنافع والكسائي وهشام عن ابن عامر وأبو بكر عن عاصم وأبو جعفر قرأوا (سلاسل) منوئاً في الوصل ووقفوا عليه كما يوقف على المنون المنصوب... وهذه القراءة متينة بقصدها رسم المصحف وهي جارية على طريقة عربية فصيحة وقرأ الباقون بدون تتوين في الوصل وهما أبو عمرو ورويس عن يعقوب (٢٣) .

لو تأملنا السبب في قراءة التتوين في حالة الوقف وهي المتواترة والأكثر قراءة لجعلناها على أربعة أسباب :

- لمراعاة مزاجته مع الاسمين اللذين بعدهما (أغلالاً وسعيراً) (٢٤) .
- أن التتوين كان له أثر دلالي وهو لمناسبة التتوين مع صوت السلاسل الذي يخرج منها حين اقتياد الكافر الى النار فناسب صوت السلاسل المجهورة مع صوت النون المجهورة ، وبما أن السياق سياق تهديد وترهيب ووعيد فصوت السلاسل يزيد من خوف وترهيب وتعذيب الكافر عذاباً نفسياً قبل عذابه جسدياً .

- للمزاوجة مع قبلها وما بعدها وليس لما بعدها فقط لأن ما سبقها وكما تحدثنا مقترن بالنون ليكون سياقاً مقروءاً بنغمات مجهورة صاعدة متطابقاً مع الوعيد والتخويف والترهيب .
- السبب الأخير كان لنتيجة وظيفة التنعيم التي فرض على السياق أن يكون بنغمة مستوية لغرض الإخبار التهديدي التخويفي الموعود للكافرين فتوالت الألفاظ مختومة بالنون والتنوين لهذا افرض على (سلاسلا) أن تكون منونة ليكون التنعيم مستوياً ولا يكون هابطاً او صاعداً في موضع ما فكان مستوياً لدلالة الإخبار التي ذكرناها .

ومن دلالات التنعيم في سورة الإنسان في قوله تعالى : {وَيُطَافُ عَلَيْهِمْ بِآنِيَةٍ مِّن فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ كَانَتْ قَوَارِيرًا * قَوَارِيرَ مِّن فِضَّةٍ قَدَّرُوهَا تَقْدِيرًا} (الإنسان : الآيتان ١٥-١٦) ، دلالة التنعيم في وقف التنعيم وقطعه على كلمة (قواريرا) الأولى ؛ لدلالة توكيدها من (قواريرا) الثانية وهو تأكيد لفظي لزيادة تحقيق أن لها رقة الزجاج أما إذا وقف تنعيم الآية على قواريرا الثانية فتكون لدلالة التكرير والإفادة من التكرير التصنيف أي: حُسْن التنسيق أي : (قواريرا) بعد (قواريرا) بالترتيب ليزيد من رونق المجلس وهذا ا يماثل قوله تعالى : {وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا} (٢٥) (الفجر : آية ٢٢) ، وقد ورد في البرهان في علوم القرآن إنَّ "التكرار وفائدته العظمى التقرير وقد قيل الكلام إذا تكرر تقرر" (٢٦) .

ومن هنا يأتي دور التنعيم في تحديد دلالة المعنيين رقة الزجاج والتصنيف حسن التنسيق فإذا فُرِئت الآية بنغمة مستوية واقفة على (قواريرا) الأولى كانت الدلالة على أخبار رقة الزجاج وقواريرا الثانية تأكيد للأولى أما إذا فُرِئت الآية بنغمة هابطة على (قواريرا) الثانية من دون الوقف على الأولى فدلالة المعنى على التقرير والإثبات في التصنيف أي: حسن التنسيق ليزيد من رونق المجلس.

ومن دلالات التنعيم في سورة الإنسان قوله تعالى : {قَاصِرِ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تُطِعْ مِنْهُمْ آثِمًا أَوْ كَفُورًا * وَادْكُرْ اسْمَ رَبِّكَ بُكْرَةً وَأَصِيلًا * وَمِنَ اللَّيْلِ فَاسْجُدْ لَهُ وَسَبِّحْهُ لَيْلًا طَوِيلًا} (الإنسان : الآيات ٢٥-٢٦) ، فالأمر في (قَاصِرِ لِحُكْمِ رَبِّكَ) و (وَلَا تُطِعْ مِنْهُمْ آثِمًا أَوْ كَفُورًا) و (وَادْكُرْ اسْمَ رَبِّكَ بُكْرَةً وَأَصِيلًا) و (فَاسْجُدْ لَهُ) و (وَسَبِّحْهُ لَيْلًا طَوِيلًا) فالآيات جميعها طلبية والجمال الطلبية تقع في قسم تنعيم النغمة الهابطة وقد ورد في الآيات جميعها بالنغمة نفسها وقد ناسب التنعيم الهابط في هذه الآيات أسلوب الأمر الصادر بين الله سبحانه وتعالى و رسوله الكريم محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) ، فالخطاب لا يكون على وجه الأمر الحقيقي بل للنصح والإرشاد والتنبية وبما أن سياق الآيات يدل على إنزال السكينة في قلب الرسول الأعظم وتهوين أذى

المشركين عليه كان لابد من أن يقرأ سياق الآيات بنغمة هابطة للتناسب مع نفسية الرسول وتبنيهاه فيكون السياق لا على وجه الأمر بل على وجه النصح والارشاد الذي يتطلب نغمة هابطة لتناسب أسلوب النصح والإرشاد الذي يتمثل بالهدوء والسكينة مراعاة للرسول الأكرم .

وقد وجه ابن عاشور الأمر إلى الإرشاد : "أي أقبل على شأنك من الدعوة إلى الله وذكر الله بأنواع الذكر وهذا إرشاد إلى ما فيه عون له على الصبر على ما يقولون" (٢٧) .

الخاتمة والنتائج

الحمد لله الذي انعم عليّ بتمام هذا البحث وأشكره (سبحانه وتعالى) على ما يسر من دراسة مختلف جوانب هذا الموضوع وعلى الرغم من ما كان فيه من القصور لكنه يبقى عملاً راجين من ورائه الثواب والجزاء أما أهم النتائج التي توصل إليها البحث فهي:

النتائج

- ١- للتنغيم دور مهم في تحديد المعنى المراد من التراكيب النحوية.
- ٢- للتنغيم دور في تحويل الأساليب .
- ٣- حوّل التنغيم أسلوب الاستفهام الذي يقرأ بنغمة صاعدة إلى التقرير الذي قرئ بنغمة مستوية .
- ٤- التنغيم كسر القاعدة النحوية في سبيل استمرارية التنغيم بنغمة مستوية وللمناسبة مع السابق واللاحق واستمرارية أنين الكافرين وللمناسبة مع ظهور صوت السلاسل وكلها تصب مع مناسبة السياق للخوف والتهديد والوعيد .
- ٥- كان للتنغيم دور مهم في بيان دلالة (قواريرا) التي وردت في الآيتين بمعنيين مختلفين.
- ٦- ناسب التنغيم الهابط في الجمل الطلبية (الأوامر) الموجهة للرسول (صلى الله عليه وسلم) الموقف النفسي الذي تعرض له من قبل الكافرين.

الهوامش

(١) معجم مقاييس اللغة: ، ج٥، ص٤٥٢.

(٢) الكتاب: ج١، ص١٤٢ .

(٣) سر صناعة الإعراب: ص٩.

(٤) الخصائص: ج٢، ص٣٧١.

(٥) الأصوات اللغوية: ص١٠٣ .

(٦) مناهج البحث في اللغة: تمام حسان، ص١٦٤.

- (٧) علم الأصوات: كمال بشر، ص ٥٣٣.
- (٨) أسس علم اللغة: ماريو باي، ص ٩٣.
- (٩) مناهج البحث في اللغة : تمام حسان، ص ١٦٦.
- (١٠) علم الأصوات، كمال بشر: ٥٣٩، ٥٤٠، ٥٤٢، ٥٤١، وينظر: علم الصوتيات، عبد العزيز أحمد علام، وعبد الله ربيع محمود، ص ٣٢١، ٣٢٢.
- (١١) ينظر: جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبدیع، السيد أحمد الهاشمي: ص ٩٧.
- (١٢) ينظر: علم الأصوات، كمال بشر: ٥٣٤ - ٥٣٩، و: ينظر: المدخل إلى علم أصوات العربية: غانم قدوري الحمد، ص ٢٤٣ - ٢٤٤، وينظر: ألفاظ الكفر والإيمان في القرآن الكريم دراسة لغوية، باسم جبار راهي، ١٧ - ١٨.
- (١٣) معاني القرآن: أبو زكريا زياد الفراء (ت ٢٠٧هـ)، ج ٣، ص ٢١٣.
- (١٤) ينظر: التفسير الكبير مفاتيح الغيب، ج ٣٠، ص ٢٣٥، وينظر: الاتقان في علوم القرآن، ص ١٧٠٩.
- (١٥) شروح التلخيص: سعد الدين التفتازاني (ت ٧٩١ هـ)، ج ٢، ص ٢٩٥.
- (١٦) مغني اللبيب عن كتب الأعاريب: ج ١، ص ٩٥.
- (١٧) مشكل إعراب القرآن: ص ٧٨١.
- (١٨) تفسير الكشاف: ص ١١٦٣.
- (١٩) البرهان في علوم القرآن: ص ٥١٦.
- (٢٠) الأصوات واللهجات قديماً وحديثاً: نادية رمضان النجار، ص ١٠٩. وينظر: النحو والسياق الصوتي: أحمد كشك، ص ١٠٩.
- (٢١) تفسير التحرير والتنوير: ج ٢٩، ص ٣٧٧.
- (٢٢) ينظر: علم الاصوات، كمال بشر، ص ١٧٤.
- (٢٣) ينظر: التفسير الكبير مفاتيح الغيب، ج ٣٠، ص ٢٤٠. وينظر: البحر المحيط: ج ٨، ص ٣٨٧ وينظر: التحرير والتنوير، ج ٢٩، ص ٣٧٧.
- (٢٤) ينظر: التحرير والتنوير، ج ٢٩، ص ٣٧٧.
- (٢٥) ينظر: المصدر نفسه، ج ٢٩، ص ٣٩٣.
- (٢٦) البرهان في علوم القرآن، ص ٦٢٧.
- (٢٧) التحرير والتنوير، ج ٢٩، ص ٤٠٥. وينظر: الاتقان في علوم القرآن، ج ١، ص ١٧١٥، التي وردت فيها خروج الأمر من معناه الطلبي إلى معنى الإرشاد.

المصادر والمراجع

- القرآن الكريم

- ١- أسس علم اللغة، ماريو باي، ترجمة: أحمد مختار عمر، عالم الكتب، ط٨، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م .
- ٢- الأصوات اللغوية، إبراهيم أنيس، مكتبة نهضة مصر ومطبعاتها، مصر، د.ط، د.ت.
- ٣- الأصوات واللهجات قديماً وحديثاً ، نادية رمضان النجار ، دار غريب ، القاهرة - مصر .
- ٤- الالتقان في علوم القرآن ، جلال الدين عبد الرحمن السيوطي (ت. ٩١١هـ) ، مركز الدراسات القرآنية ، المملكة العربية السعودية ، د.ط ، د.ت.
- ٥- البرهان في علوم القرآن ، أبو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي (ت. ٧٩٤هـ) ت. محمود ابو الفضل الدمياطي ، دار الحديث ، شارع جوهر القائد ، د.ط ، ١٤٢٧هـ ، ٢٠٠٦م .
- ٦- البحر المحيط ، محمد بن يوسف المشهور بأبي حيان الاندلسي (ت. ٧٤٥هـ) ، ت: عادل احمد عبد الموجود وآخرين ، دار الكتب العلمية، بيروت ، لبنان ، ط١٣، ١٤١٣هـ، ١٩٩٣م.
- ٧- تفسير التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن عاشور، الدار التونسية للنشر، تونس، د.ط. ١٩٨٤.
- ٨- تفسير الكشاف ، أبو القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري (ت. ٥٣٨هـ) ، اخراج خليل محمود شيحا ، دار المعارف ، بيروت - لبنان ، ط٣ ، ١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م.
- ٩- التفسير الكبير مفاتيح الغيب ، محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين بن علي الرازي (ت. ٦٠٤هـ) ، دار الفكر ، د. مكان ، ط١ ، ١٤٠١هـ، ١٩٨١م .
- ١٠- جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبدیع، السيد أحمد الهاشمي، ت: محمد التونجي، مؤسسة المعارف، بيروت- لبنان، ط٤، ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٨م
- ١١- سر صناعة الإعراب: أبو الفتح عثمان بن جني (ت. ٣٩٢هـ) ، ت: الدكتور حسن هنداي، دار القلم، دمشق، ط٢، ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م.
- ١٢- الخصائص، أبو الفتح عثمان ابن جني (ت. ٣٩٢هـ)، ت: محمد علي النجار، المكتبة العلمية، د.ط، د.ت.
- ١٣- شروح التلخيص ، سعد الدين التفتازاني (ت ٧٩١هـ و ٧٩٢هـ) ، أدب الحوزة ، د.ط ، د.ت .

- ١٤- علم الأصوات ، كمال بشر ، دار غريب ، القاهرة ، د.ط ، ٢٠٠٠ م .
- ١٥- علم الصوتيات، عبد العزيز أحمد علام، وعبد الله ربيع محمود، مكتبة الرشد، المملكة العربية السعودية - الرياض، ط٣، ٢٠٠٩ م.
- ١٦- الكتاب، سيوييه، أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر (ت ١٨٠هـ)، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط٢، ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م، د ط ، ١٤٠٨هـ ، ٣- ١٩٨٨م.
- ١٧- مشكل إعراب القرآن ، أبو محمد مكي بن أبي طالب القيسي (ت. ٤٣٧هـ) ، ت: الدكتور حاتم صالح الضامن ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، شارع سوريا ، ط٢ ، ١٤٠٥هـ - ١٩٨٤م.
- ١٨- معاني القرآن ، أبو زكريا زياد الفراء (ت. ٢٠٧هـ) ، عالم الكتب ، بيروت ، ط٣ ، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م .
- ١٩- معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس بن زكريا (ت ٣٩٥ هـ)، ت: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، د. ط، ١٩٧٩ م .
- ٢٠- مغني اللبيب عن كتب الأعراب ، ابن هشام الأنصاري ، ت. عبد اللطيف محمد الخطيب ، السلسلة التراثية ، الكويت ، ط١ ، ٢٠٠١م.
- ٢١- مناهج البحث في اللغة، تمام حسان، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، د.ط، ١٩٩٠م.
- ٢٢- المدخل الى علم أصوات العربية، غانم قدوري الحمد، ط١، مطبعة دار عمار، عمان، ١٤٢٥هـ، ٢٠٢٤ م.
- ٢٣- النحو والسياق الصوتي ، أحمد كشك ، دار غريب ، القاهرة ، ط١ ، ٢٠٠٦م.
- الرسائل الجامعية
- ١- ألفاظ الكفر والإيمان في القرآن الكريم دراسة لغوية ، باسم جبار راهي ، رسالة ماجستير ، جامعة كربلاء، كلية التربية للعلوم الإنسانية، كربلاء - العراق، ٢٠١٨م،

Sources and References

-The Holy Quran

1-Foundations of Linguistics, Mario Bay, translated by Ahmed Mukhtar Omar, Alam Al-Kutub, 8th ed., 1419 AH - 1998 AD.

Linguistic Sounds, Ibrahim Anis, Nahdet Misr Library and Press, Egypt, n.d., n.d.2-

3-Sounds and Dialects, Ancient and Modern, Nadia Ramadan Al-Najjar, Dar Gharib, Cairo, Egypt.

4-Al-Burhan fi Ulum Al-Quran, Abu Abdullah Badr Al-Din Muhammad ibn Abdullah ibn Bahadur Al-Zarkashi (d. 794 AH), ed. Mahmoud Abu Al-Fadl Al-Damiati, Dar Al-Hadith, Gawhar Al-Qaed Street, n.d., 1427 AH, 2006 AD.

5- Characteristics, Abu Al-Fath Uthman Ibn Jinni (d. 392 AH), ed. Muhammad Ali Al-Najjar, Scientific Library, n.d., n.d.

6- The Book, Sibawayh, Abu Bishr Amr ibn Uthman ibn Qanbar (d. 180 AH), Al-Khanji Library, Cairo, 2nd ed., 1402 AH - 1982 AD, 3rd ed., 1408 AH - 1988 AD.

7- Tafsir al-Tahrir wa al-Tanwir, Muhammad al-Zahir ibn Ashur, Tunisian House of Publishing, Tunis, 1st ed., 1984.

8-Tafsir al-Kashaf, Abu al-Qasim Jar Allah Mahmud ibn Umar al-Zamakhshari (d. 538 AH), edited by Khalil Mahmoud Shiha, Dar al-Maaref, Beirut, Lebanon, 3rd ed., 1430 AH - 2009 AD.

9- Explanations of the Summary, Sa'd al-Din al-Taftazani (d. 791 and 792 AH), Adab al-Hawza, 1st ed., 1st ed., 1st ed.

10-Phonetics, Kamal Bishr: 539, 540, 541, 542. See also: Phonetics, Abdul Aziz Ahmed Allam and Abdullah Rabie Mahmoud, Al-Rushd Library, Kingdom of Saudi Arabia - Riyadh, 3rd ed., 2009.

11-The Problem of Quranic Grammar, Abu Muhammad Makki bin Abi Talib Al-Qaysi (d. 437 AH), trans. Dr. Hatem Saleh Al-Dhamin, Al-Risalah Foundation, Beirut, Syria Street, 2nd ed., 1405 AH - 1984 AD.

12-The Meanings of the Quran, Abu Zakariya Ziyad Al-Farra' (d. 207 AH), Alam Al-Kutub, Beirut, 3rd ed., 1403 AH - 1983 AD.

13-Dictionary of Language Standards, Ahmad bin Faris bin Zakariya (d. 395 AH), trans. Abdul Salam Muhammad Harun, Dar Al-Fikr, 1st ed., 1979 AD.

14-Mughni al-Labib 'an Kutub al-A'arib, Ibn Hisham al-Ansari, trans. Abdul Latif Muhammad al-Khatib, Heritage Series, Kuwait, 1st ed., 2001.

15-Research Methods in Language, Tamam Hassan, Anglo-Egyptian Library, Cairo, n.d., 1990.

16-The Great Commentary: Keys to the Unseen, Muhammad ibn 'Umar ibn al-Hasan ibn al-Husayn ibn 'Ali al-Razi (d. 604 AH), Dar al-Fikr, n.d., 1st ed., 1401 AH, 1981.

17-Al-Itqan fi 'Ulum al-Quran, Jalal al-Din 'Abd al-Rahman al-Suyuti (d. 911 AH), Center for Quranic Studies, Kingdom of Saudi Arabia, n.d., n.d.

18-Al-Bahr Al-Muhit, Muhammad ibn Yusuf, known as Abu Hayyan Al-Andalusi (d. 745 AH), trans. Adel Ahmad Abd Al-Mawjoud and others, Dar Al-Kutub Al-Ilmiyyah, Beirut, Lebanon, 1st ed., 1413 AH, 1993 CE..

19Jawahir Al-Balagha Fi Al-Ma'ani Wa Al-Bayan Wa Al-Badi', Sayyid Ahmad Al-Hashemi, trans. Muhammad Al-Tunji, Ma'arif Foundation, Beirut, Lebanon, 4th ed., 1428 AH - 2008 CE..

20-The Secret of the Art of Syntax, Abu Al-Fath Uthman ibn Jinni (d. 392 AH), trans Dr. Hassan Handawi, Dar Al-Qalam, Damascus, 2nd ed., 1413 AH - 1993 CE..

21-Phonology, Kamal Bishr, Dar Gharib, Cairo, n.d., 2000 CE..

22- Introduction to the Science of Arabic Phonetics, Ghanem Qaddouri Al-Hamad, Al-Majma' Al-Ilmi Press, Baghdad, n.d., 1423 AH, 2002 CE..

. Grammar and Phonetic Context, Ahmed Ashk, Dar Gharib, Cairo, 1st ed., 2006.23